

## الفضيلة

وجدتني يوماً من أيام هذه الحياة في عاصمةٍ من عواصم هذا العالم  
استفزتني فيها مشاهد متباينة أضحكنَ وابكينَ ؛ وظلمتُ متجولاً في  
مشارعها وشوارعها ، وأنديتها وأوديتها ، كأني ناشد ضلالةً وهل تنشد في  
ظلمات هذه المدينة الأفضيلة الضائعة لا بل ( الضلالة ) لأنها هبطت  
من المحل الأرفع وهوت من الفضاء الى ثرى الغبراء ، ومن عالم النور  
والسيارات والشموس ، الى عالم الظلمة ظلمة الفضاء والعقول والنفوس ،  
ونزلت من السماء سماء الصمت والسكون والراحة الأبدية ، الى حضيض  
جلبة الانسان ، وعجيج الحيوان ، فضلتَ هذه الفضيلة وأضلت . ضلتَ  
حين لم تجد سكناً تاوي اليه في جديد مُستقرٍ اختارته ، وعرفت انها  
التاقت بحماة الخطيئة ، وأضلتَ لأنها تركت الفلاسفة والشعراء كحاطبين  
في الظلام . أضلتهم لأنها ربة عبدها الناس ، لا جميع الناس ، ولكن عبدها  
الشاعر والفيلسوف ، وسجد لها الأديبون والأخلاقيون وهم لا يدرون  
أين يضعون لها شطر الوجوه ، فضلوا وأضلوا كما فعلت الآلهة من قبل .  
فيا لضلال العابد والمعبود !

ضائعة أنت أيتها الفضيلة وأتم أيها الفلاسفة والشعراء واركان  
الحكمة والآداب كل منكم فضيلة أرضية ضائعة ضياع فضيلة السماء في  
الأرض ؛ كل منكم فضيلة ضائعة ولكن ليست بأرضية كما قيل ، لأنكم  
أرواح سماوية ، وجواهر مجردة ، هبطت مع الآلهة الى الأرض ، فضاعت

آلهتكم وضعتم معها أتم في ثنيات القرون . حقيقة كشفتموها ومثل  
 ضربتموه هو ان الأرض الخبيثة لا ينبت فيها الطيب بل الخبيث  
 الأرض الخبيثة تجل على الزهرة بشيء من قواها الحيوية فتخرجها  
 ضعيفة القوام لا تقوى على الفواعل . تتأثر حتى من النسيم البليل ، وتحرقها  
 حتى حرارة شمس الخريف المعتدلة ، ثم انها تؤدع الحياة غير شبعانة من  
 الأيام كأنها أمل في صدر الفتاة ما عم القضاء ان رماه باليأس فأطفأ نوره  
 اما الأشواك فلها من التربة السوداء كل حياة تجعلها راسخة الجذور  
 رسوخ حب الأثرة في نفوس الجبارين ، وتبرزها محذدة الرؤوس كأنها  
 حراب الجنود المسخرة لتدمير الشعوب الضعيفة ، وتكونها جائية على  
 الرمال كأنما هي رؤوس الأرواح الشريرة نافرة من بطون الأرضين على  
 وجه البسيطة

الفضيلة تلك الزهرة الضعيفة القوام لا تلبث أشواك الاجتماع ان  
 تقضي عليها ، لأن نفوس البشر تربة خبيثة لا تغذي الازهار ولكنها تغذي  
 الأشواك السامة ، تبسطها على طريق المصلحين فتدمي أقدامهم ، وتملأ بها  
 سبيل التعساء قزيرد آلامهم ، فيا تعست تلك التربة الخبيثة وتعس من  
 ورائها الجناة الآثمون !

الفضيلة زهرة عطرة لا تحب أن تخرجها الأرض ، لا بل لا تحب  
 هي ان تخرج من الأرض ، لأنها لا تريد أن تتغذى بعناصر أشقياء هذا  
 العالم تدكهم عروش الظالمين ، وتحشرهم في الأجداث المظلمة ، فتحلم  
 الطبيعة غذاء لها ، فبئس غذاء الأشواك لا غذاء الورود ، وبئست تلك

المياكل المحنطة التي أنفوا عليها حتى من فعل الطبيعة ، والتي تحب  
الكبرياء حتى وهي في أجدائها العميقة ، والتي أقامت من الأهرام دليلاً  
على الجبروت

الفضيلة زهرة لا تحب أن تستمد من هواء هذه الأرض لأن هذه  
أنفاس وتلك حشرات ممتزجة بجواهره الفردة . نقشات صدور وآلام ،  
وحشرات كرام ، لا تحب أن تنمو عليها تلك الزهرة الطاهرة ، لأنها لا تريد  
ان تجتذب من الهواء آلام البشر وحشرات الانسانية الشقية ، ولا تحب  
أن تعيش في محيط تلك الأمواج الاثيرية التي يبعثها أنين المظلومين ،  
وعجيج الفقراء ، وأصوات الحزاني

حقاً ان الزهرة قصيرة مدى الحياة لأنها شاعرة حساسة ذات  
ضمير ووجدان لا يوجدان في ظواهر هذه النفوس البشرية ، فلذلك تتأثر  
وتتألم وتذبل وتموت . فسلام على الزهرة !

ما أشبه تلك الزهرة بالفضيلة ، ما أشبهها بتلك التي تتعالج صدر  
الأديب وتعالج نفس الفيلسوف ، تريد أن تنمو لتكون فيأضنة الوجود على  
العالم بأسره ، فتمنعها الرذيلة فيموت حاملها وتموت هي قصيرة مدى الحياة  
بموتها ، فيا لرزية الانسانية بفقدك أيتها الفضيلة !

محمد رضا الشيباني

( النجف )